

## عشرات القتلى في انفجار خارج الكنيسة القبطية المزدحمة ليلة رأس السنة

2010 01 10

www.socialistworld.net

موقع اللجنة لأمية العمال الالكتروني

## الاحتجاجات وتشكيل النقابات المستقلة دليل على الاحتمالات الناتجة عن وحدة العمال

ديفيد جونسن، الحزب الاشتراكي (اللجنة لأمية العمال في انكلترا وويلز)

قتل ليلة رأس السنة في تفجير خارج كنيسة القديسين المزدحمة في الإسكندرية 23 شخصاً وجرح 90 آخرون بينهم عشرة مسلمون. والمسيحيون الأقباط في مصر غاضبون من فشل الحكومة في حمايتهم، أي أن خطر وقوع الهجوم كان عالياً في ظل مجموعة مرتبطة بالقاعدة وتسمى "دولة العراق الإسلامية" كانت قد أعلنت مسؤوليتها عن الهجوم على كنيسة في بغداد، في تشرين الثاني الماضي، وهددت بشن هجمات مماثلة في مصر. وقبل أسبوعين من الانفجار، سرد على موقع المجموعة الالكتروني عدد من الكنائس لتكون مستهدفة خلال عيد الميلاد، بما في ذلك كنيسة القديسين. وكان هذا رد على ما ذكر من اختطاف من قبل الكنيسة لإمرأتين حاولتا التحويل من المسيحية إلى الإسلام. ومع ذلك، فإنه لا يزال من غير الواضح من يقف وراء التفجير.



وسرعان ما انتشرت الاحتجاجات بعد المذبحة إلى القاهرة وبقية البلد، وأضرب حوالي 4000 عاملاً قبطياً من جامعي النفايات في القاهرة وتظاهروا على الطريق الرئيسي و تظاهر أكثر من ألف شخصاً قبطياً، كانوا من فئة الشباب بشكل رئيسي، خارج مبنى تلفزيون الدولة في القاهرة. ودعا المتظاهرون لاقالات وزير الداخلية ومحافظ ورئيس الأمن في الإسكندرية، وهاجمت الشرطة المسلحة بالهراوات والدروع المتظاهرين. وفي أسيوط، سار حوالي 2000 قبطياً عبر القرية وهم يرددون الهتافات والشعارات المعادية للرئيس، فضلاً عن الشعار "الصليب والإنجيل هما الأول والأخير."

وفي الثاني من كانون الثاني / يناير 2011 في كاتدرائية العباسية في القاهرة ألقى آلاف من الأقباط الغاضبين الحجارة وزجاجات المياه على قوات الأمن عندما حاولت الشرطة تفريقهم بالقوة. وكان قد زار ستة وزراء الكاتدرائية كعرض لقلق الحكومة، فأجبروا على المغادرة من الباب الخلفي بعد أن هوجمت سيارة أحدهم. واستمرت الاحتجاجات طوال الليل.

وفي اليوم الثالث من كانون الثاني / يناير، تظاهر المئات من جديد في حي شبرا في القاهرة. وهاجمت الشرطة الحشود، وفصلت عنهم مجموعة من ثمانية نشطاء لديهم أسماء مسلمة وألقت القبض عليهم. ومنذ ذلك الحين يواجهون تهمة نشر التوتر الطائفي والإخلال بالنظام العام. هذه محاولة صارخة من قبل السلطة لتأطير ناشطين من اليسار ولتقسيم الأقباط من حركة الطبقة العاملة على نطاق أوسع.

ويبدو أن الشباب كانوا يحتجون ولا يخافون من الشرطة التي لديها سمعة وحشية في مثل هذه الحالات. ولقد تحدوا أيضاً زعماء الكنيسة الذين دعوا إلى وضع حد للاحتجاجات. وفي بعض الاحتجاجات، كان هناك منافسة بين حشود من الشباب المسلمين ومصادمات متفرقة، بينما في احتجاجات أخرى انضم بعض المسلمون للتضامن.



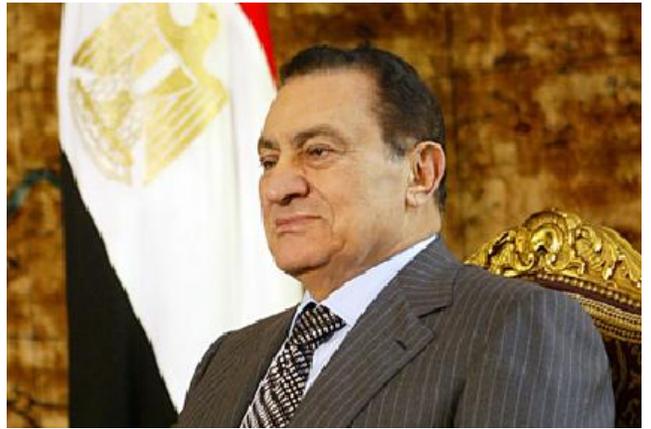
لقد أتت القنبلة في ليلة رأس السنة بعد سنوات من قمع الأقلية القبطية المسيحية في مصر التي تشكل ما بين 10 و 15 % من الشعب، معظمهم من بين أفقر شرائح المجتمع، يقومون في الكثير من الأحيان بوظائف وضيعة مثل جمع النفايات.

وتتصاعد حدة التوتر الطائفي المتزايد منذ أكثر من ثلاثين عاماً. فبعد محاولة إسقاط نظام الرئيس أنور السادات من قبل الحركة الجماهيرية للعمال والفقراء - خلال مظاهرات الخبز في عام 1977 - كان الهدف تحويل وجهات نظر المعارضة المتزايدة ضد نظامه بعيداً عن العلمانية واليسارية. فسمح بعودة قادة الإخوان المسلمين الذين كانوا في المنفى في المملكة العربية السعودية منذ الخمسينات وجلبوا معهم الاتجاه الوهابي للإسلام - الأكثر تحفظاً وفي التعايش مع الأقباط أقل تسامحاً مما كانت تعرفه مصر بممارسة الصوفية التقليدية للإسلام.

## نظام قمعي

وحافظ خليف السادات، حسني مبارك، على منصبه كرئيس منذ عام 1981، وحقق التوازن بين القمع والاتفاقات مع بعض القيادات الدينية، بما فيها البابا شنودة الثالث من الكنيسة القبطية. وفي المقابل وللسماع لها بالعمل بحرية نسبية في المسائل الدينية، قامت قادة المجتمع بتسليم الأصوات إليه عند الانتخابات المزورة.

وقد تُركت المنظمات الدينية - بما في ذلك الكنيسة القبطية وجماعة الإخوان المسلمين - تسد الفجوة من قبل الحكومة التي فشلت بالكامل في توفير التعليم اللائق والرعاية الصحية والاجتماعية، مما أدى إلى تزايد الانقسام الطائفي في ظل أن الناس يعيشون بشكل متزايد داخل المجتمعات الدينية الخاصة بهم.



خلال تفشي مرض انفلونزا الخنازير في عام 2009، أمرت الحكومة بإعدام كل الخنازير على الرغم من عدم انتقال الفيروس من الخنازير الى البشر. وكان هذا هجوم مباشر على الأقباط الذين يشكلون الفئة الوحيدة من الشعب التي ترعى وتأكل الخنازير.

وقبل عام واحد وخلال عشية عيد الميلاد، سبعة قتلى قُنعوا من سيارة أطلقت النار على الكنيسة في نجع حمادي، وكان بينهم حارس أمن مسلم. وقيل أن هذا كان انتقام لاغتصاب فتاة مسلمة من قبل شهرين ومن قبل مسيحي. وبعد العثور على المذنبين في جريمة إطلاق النار أتى حكم طفيف نسبياً من جانب المحاكم.

وهناك قضية أخرى أثارت غضب الأقباط وهي تمييز الحكومة ضد بناء الكنائس ومراكز المجتمع المسيحي. فقيود التخطيط والبيروقراطية تتطلب وقت أكثر بكثير مما هو مطلوب لبناء المساجد. وكانت هناك هجمات طائفية عنيفة على منازل الأقباط والمجتمعات المحلية في المناطق حيث هناك مجاولات لبناء كنائس جديدة. وتظاهر المئات من الأقباط حول هذا في الجيزة في تشرين الثاني / نوفمبر 2010، حيث قتل إثنان بعد اشتباكات مع الشرطة.

لقد أدى انفجار قنبلة الإسكندرية لأن يقول عدد كبير من الشباب الأقباط "لقد كان لدينا ما يكفي!" ففي شبرا في الأول من كانون الثاني / يناير، انضم إلى الشباب المحتجين ناشطون من مجموعة واسعة من أحزاب المعارضة، بما في ذلك الغد والوفد والتجمع وجماعة الإخوان المسلمون ودعاة الديمقراطية والاشتراكيون. وكانت هناك ثلاثة أيام من الاحتجاجات، مع آلاف المشاركين، معظمهم من الأقباط.

إن تصاعد حدة التوتر الطائفي المتنامي مع بعض ردود الفعل على هذا الرعب الأخير هو تحذير من الصراع الطائفي الأسوأ بكثير والذي يمكن أن ينشأ. فالصراع الديني الطائفي قد يسبب معاناة رهيبية، وخاصة للطبقة العاملة والجماهير الفقيرة. ومع ذلك، هذه ليست حتمية بل يمكن أن يكون هناك طريق بديل من التضامن الطبقي ضد العدو المشترك وهو الرأسمالية والسياسيون الحاكمون الفاسدون، فقد يجمع هكذا طريق بين المجتمعات في نضال مشترك.

الماركسيون يدافعون عن حقوق الأقباط وكافة الأقليات الدينية في ممارسة معتقداتهم دون تمييز أو اضطهاد. وقد رفع بعض الناشطين الشعار "نحن جميعاً أقباط"، ودعوا المسلمين لتشكيل دروع بشرية حول الكنائس خلال عيد الميلاد القبطي في 7 كانون الثاني / يناير لظهور التضامن.

إن مصالح العمال المسلمين والأقباط هي نفسها، والاشتراكيون يعارضون الطائفية في جميع أشكالها. إن الأعمال الكبيرة تستفيد كالحوكمة من الانقسامات الطائفية لأنها تضعف من قوة الطبقة العاملة ومن توحيدها ضد عدوها المشترك.

## لا للتمييز الديني، نعم للحقوق الديمقراطية للجميع

ولكن لا بد من طرح برنامج واضح يربط بين الحرية الدينية والنضال من أجل الحقوق الديمقراطية. إن مهزلة تزوير الانتخابات في نوفمبر / تشرين الثاني قد أظهرت مرة أخرى أهمية هذه الحقوق للعمال والشباب الذين يناضلون ضد الفقر والقمع، فالحق في التصويت في انتخابات حرة، وللتجمع دون اعتداءات الشرطة، ولإصدار الصحف وحرية الوصول إلى التلفزيون والإذاعات، هي جميعها حقوق حيوية. ولذا فإن الحق في الإضراب هو الحق في تنظيم النقابات الحرة والأحزاب السياسية وهو نضال من أجل تشكيل حكومة للعمال والفقراء.

الرأسمالية المصرية الضعيفة هي عبارة عن الاعتماد على نظام استبدادي، وهو السبب وراء عدم إدانة الامبريالية لتزوير الانتخابات. وخلافاً للإمبريالية في ساحل العاج، هي تريد استمرارية النظام الحالي في مصر بطريقة جذرية، وذلك مع أو بدون عائلة مبارك. لذلك فإن النضال من أجل الحقوق الديمقراطية الدائمة يجب أن يكون جزءاً من النضال من أجل التغيير الاشتراكي.

وثمة تطور إيجابي جداً خلال الشهر الماضي هو تشكيل نقابة مستقلة ثانية من قبل فنيي صحة. ويأتي ذلك عقب تشكيل من قبل جباة ضرائب العقارات في 2009 لأول نقابة مستقلة منذ عام 1957. وجمعت نقابة فنيي الصحة المصرية 13000 توتيقاً من العاملين بالأشعة في المختبرات وفنيي مستشفيات أخرى، والبعض منهم يكسب أجور ضئيلة كـ50 دولاراً أمريكياً في الشهر. الهدف هو تجنيد العديد من 205000 فنياً صحياً الذين لا يغطيهم الاتحاد.

إن اتحاد نقابات عمال مصر الذي تسيطر عليه الدولة هو أداة إدارية لقمع العمال بدلاً من أن يكون المنظمة التي تنظم الحملات وتناضل والتي هي ضرورة للعمال في محاربة الفقر وظروف العمل السيئة. وهناك عمال آخرون يحاولون أيضاً أن ينظموا نقابات مستقلة عن اتحاد نقابات عمال مصر.

إن موجة الإضرابات التي اجتاحت مصر في السنوات الأخيرة تدل على احتمال حدوث حركة موحدة للطبقة العاملة. فالنقابات العمالية المستقلة، التي تناضل من أجل الحقوق للجميع وتنظم نشاطات تضامنية مع الذين يناضلون، يمكن أن تجمع العمال كطبقة. إن الطبقة العاملة من المحتمل أن تكون أقوى قوة في مصر، فتنظيمها حول برنامج من أجل الحقوق الديمقراطية ومن أجل التغيير الاشتراكي، سيوحد العمال والفقراء المسلمين والمسيحيين معاً، ويهز كل النظام الفاسد في جميع أنحاء المنطقة.

